موسكو تسبح ضد التيار
وهذه شروطها لتوريد السلام!

بقلم: أحمد طلعت

منذ عدة أسابيع قطع وزير الدفاع العراقى زيارته الى موسكو وعاد الى بغداد ، وكذلك فعل اللواء حكمت شهاب رئيس الاركان السورى ٠

ولعدة أيام ظلت أسباب الزيارة ، وأسباب قطعها ، سرا لا يبوح به أحد فى العواصم الثلاث!!

وفى الاسبوع الماضى بدأت الاسرار تتسرب ، وبدأت الحقائق تفرض نفسها مكان التكهنات ٠٠

ووفقا لاوثق المصادر،فان زيارة وزير الدفاع العراقى ورئيس الاركان السورى كان هدفها الحصول من موسكو على اسلحة متطورة ـ وبكميات كافية ـ تنفيذا لما وعد به الاتحاد السوفيتى ، عشية اجتماعات قمة الدول التى تعارض سياسة الرئيس السادات فى دمشق فى اوائل سبتمبر الماضى ٠

وكانت سوريا والعراق تسعيان وراء الحصول على نفس الانواع ـ وبنفس الكميات ـ التى زود بها الاتحاد السوفيتى الجماهيرية الليبية مؤخرا ، وعلى وجه الخصوص :

- **المقاتلات المتقدمة من طراز ميج ٢٧**
- **قاذفات القنابل من طراز توبوليف ٢٢**
- **دبابات من طراز ت ٧٢**
- **صواريخ حديثة ارض/جو وكذلك ارض/ارض**

وكانت ليبيا قد حصلت الى جانب ذلك على بعض الغواصات السوفيتية الصنع ضمن صفقات الاسلحة التى وصلت اليها

وكان السوفييت صرحاء ـ كعادتهم ـ عندما يتعلق الامر بشروط يرى الاتحاد السوفيتى انها لازمة قبل الموافقة على امدادات السلاح ٠٠ وكانت شروط الاتحاد السوفيتى ـ هذه المرة ـ تتلخص فيما يلى :

- **ان يثبت التحالف بين حزبى البعث السورى والعراقى فاعليته ، الى الحد الذى تطمئن معه موسكو الى ان جيش البلدين يمكن ان يكونا جبهة عسكرية واحدة فى مواجهة اسرائيل ٠**
- **ان يتعهد البلدان بعدم استخدام الاسلحة السوفيتية قبل الحصول على موافقة موسكو ٠**
- **ان تقبل سوريا والعراق الحاق مستشارين عسكريين سوفييت بالوحدات العسكرية التى سوف تصلها الاسلحة السوفيتية للاشراف على كيفية استعمالها**
- **ان تتعهد كل من سوريا والعراق بوقف اضطهاد الشيوعيين والافراج عن زعمائهم المعتقلين فى دمشق وبغداد ٠٠**

وعندما طالب السوريون والعراقيون بأن تعاملهم موسكو معاملة الرئيس القذافى ، كان رد القادة السوفييت ان ذلك يقتضى ان تقيم سوريا والعراق مع موسكو نفس الروابط السياسية والعسكرية التى ترتبط بها الجماهيرية الليبية مع الاتحاد السوفيتى ٠

ومع ذلك ، فقد حاول الاتحاد السوفيتى ان يؤكد تفرقته فى المعاملة مع كل من سوريا والعراق ، فعندما غادر موسكو وزير الدفاع العراقى ، بعث الزعيم السوفيتى ليونيد بريجينيف ، برسالة الى الرئيس البكر ركزت على طبيعة العلاقات التى تربط بين البلدين ، وضرورة استمرارها ٠

وقد حاولت موسكو ـ بهذه الرسالة ٠٠ ان تخفف من خيبة الامل التى شعر بها الوفد العسكرى العراقى ، خلال مباحثاته مع السوفييت ، وان تؤكد على ان العراق لازال يستطيع ان يعتمد على علاقته الخاصة مع موسكو ، وعلى امكانية الحصول منها ـ مستقبلا ـ على حاجته من الاسلحة ٠٠ !!

اما الرئيس السورى حافظ الاسد فقد استعد لزيارة موسكو على رأس وفد سياسى وعسكرى كبير ، وعلى الرغم من الاعلان بأن هذه الزيارة هى زيارة خاصة ، فان المصادر السياسية العليمة

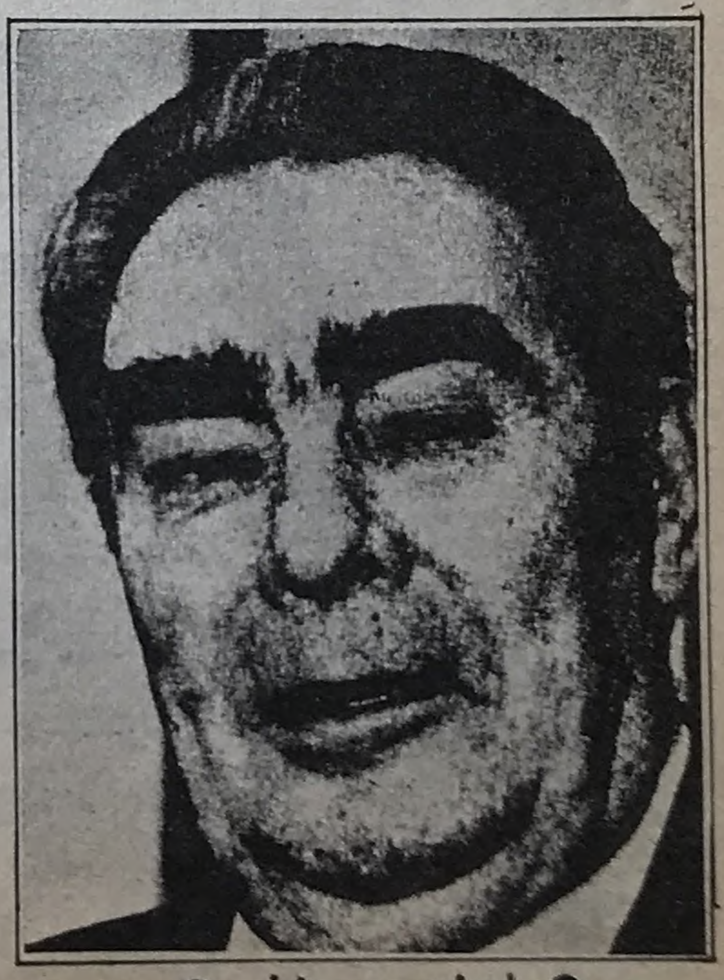

● ليونيد بريجينيف ●
الترغيب بالسلاح

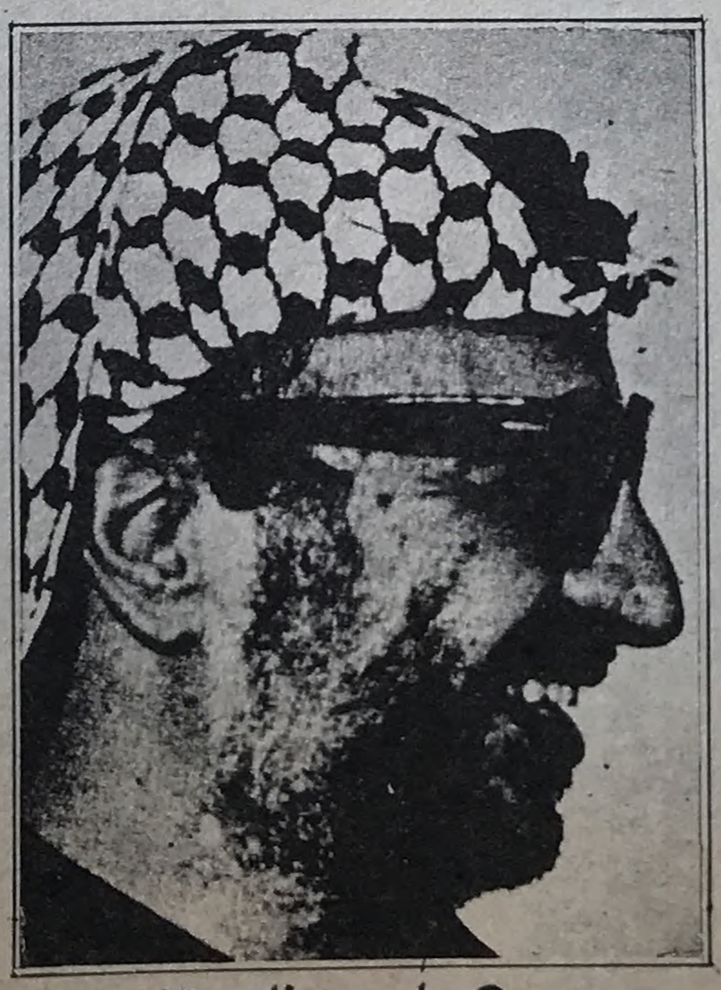

● ياسر عرفات ●
محاولات الاستقطاب

● الرئيس البكر ●

معاملة خاصة

تؤكد ان من بين اهدافها التوصل الى اتفاقية تدعم الروابط السياسية والعسكرية بين البلدين . وهى الاتفاقية التى لم يكن الرئيس الاسد متحمسا لعقدها من قبل ، رغم الحاح الاتحاد السوفيتى ..

والان يبدو الاتحاد السوفيتى مشغولا بما هو ـ من وجهة نظره ـ اكثر الحاحا من معاهدة جديدة مع سوريا ، فهو مشغول هذه الايام بأحداث كثيرة تجرى من حوله ، او بالقرب منه .. مثلا

● احداث ايران ..

● وفاة الرئيس الجزائرى هوارى بومدين ، وما يمكن ان يترتب عليه ..

● مد الجسور مع المملكة العربية السعودية ..

● معارك اثيوبيا الهجومية فى اريتريا واحتمال تدخل الغرب ضدها ..

وعلى الجانب الاخر ، فان الاتحاد السوفيتى قد اصبح اقل حماسة الان تجاه التحالف السورى العراقى ، بل انه قد بدأ يعتقد بان هذا التحالف ليس فى صالح اهدافه فى المنطقة .. !!

وقد اصبح واضحا الان ان قادة الاتحاد السوفيتى يعملون على ان يقف التحالف السورى/العراقى عند حدود معينة ، وان تكون صادرات الاتحاد السوفيتى من السلاح ، لكل من البلدين هى عامل الترغيب لكل منهما على الاحتفاظ بعلاقات خاصة مع الاتحاد السوفيتى ..

والاتحاد السوفيتى يعلم جيدا بأن زيادة صادراته من الاسلحة لاحد الجانبين سوف يثير ـ بالضرورة ـ قلق الجاب الاخر ..

ومن الطبيعى ان يتغير الموقف السوفيتى ، اذا تحققت موسكو من ان البلدين عازمان على ان يقطعا الطريق الى نهايته فى التعاون معها .

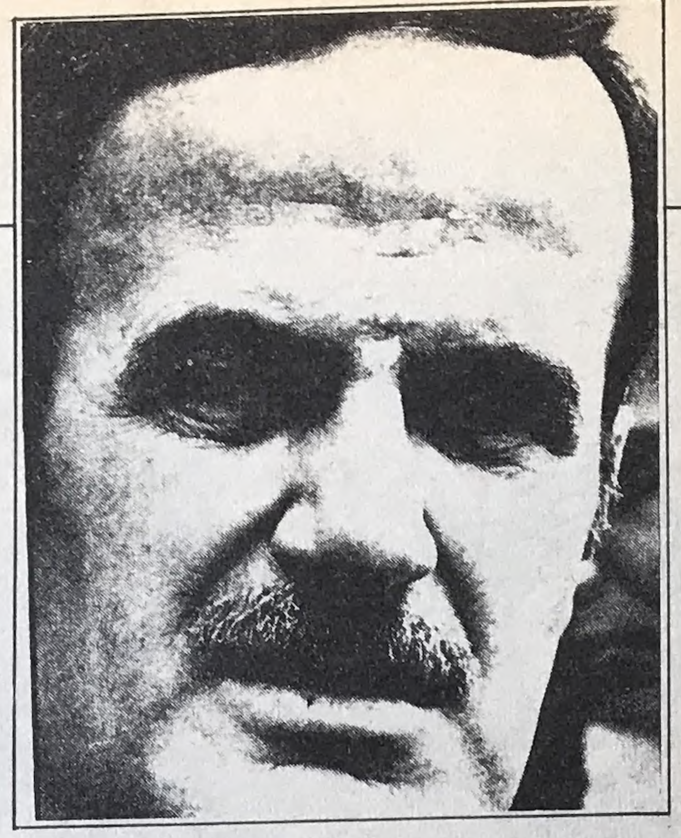

● الرئيس الاسد ●

تطويق الخطة السوفيتية

ولقد تنبه الرئيس الاسد الى حقيقة مايجرى ، وأراد ان يطوق الخطة السوفيتية ، فأدخل تعديلات على رحلته بحيث يبدأها بزيارة المجر . وليس سرا ان بودابست هى المقر الجنوبى لقيادة حلف وارسو ، وهى التى تتولى المراقبة فى حالة اندلاع حرب فى الشرق الاوسط

ولن تقتصر زيارة الرئيس الاسد على مجرد اجراء مبحثات سياسية فى بودابست ، وانما هى ايضا تتضمن لقاءات مع كبار القادة العسكريين المجريين والمسئولين فى حلف وارسو ومن بينهم بعض القادة السوفييت .

ويبقى السؤال عن طبيعة العلاقات التى تربط ليبيا الان بالاتحاد السوفيتى ، وفقا لمعلومات المصادر السياسية ، فان الاتفاقيات الاخيرة بين البلدين تتضمن موافقة ليبيا على اقامة تعاون مباشر مع القيادة الجنوبية لحلف وارسو .

ويشاع ان بعض الضباط الليبيين قد الحقوا بالفعل بقيادة الحلف فى بودابست ، كما وصلت الى ليبيا قوات رمزية من دول الحلف بغرض التعاون والتنسيق ..

ويشاع ايضا ان جسرا جويا سوفيتيا قد تولى نقل المعدات العسكرية اللازمة لمناورات محدودة قامت بها قوات حلف وارسو اوائل ديسمبر فى منطقة طبرق قرب الحدود المصرية ، واشتركت فيها وحدات من الجيش الليبى . وكانت هذه المناورات موضع رقابة ومتابعة دقيقة من كل من مصر والسعودية على السواء .

وفى تقدير المراقبين ، فان هذه النقطة بالذات كانت موضوع الرسائل التى تبودلت اخيرا بين قادة الرياض والقاهرة

وقد اكدت بعض المصادر ان هناك اتفاقا قد تم التوصل اليه بين ليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية من جهة والاتحاد السوفيتى من جهة اخرى ، يتم بمقتضاه الاعلان قريبا عن تشكيل حكومة فلسطينية فى المنفى تعترف بها على الفور موسكو والدول الشرقية الدائرة فى فلكها .

ولقد اصبحت الان العلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية موضع منافسة شديدة بين سوريا والعراق من جانب ، وليبيا على الجانب الاخر ، وتعتقد ليبيا بأن تحالفها مع المنظمة يدعم تواجدها الاستراتيجى فى المشرق العربى

وفى بيروت ،كشفت صحيفة «السفير» ان الخلافات بين دمشق وموسكو اعمق بكثير من مجرد الخلاف على صفقات الاسلحة .

وقالت «السفير» ان الاتحاد السوفيتى رد على المطالب السورية بالحصول على اسلحة لموازنة التسليح الامريكى لاسرائيل ، بأن التوازن لا ينبغى ان يكون عسكريا فقط ، بل يجب ان يكون توازنا فى مجال الاختيارات والتعهدات السياسية ، الامر الذى يعنى ان الاتحاد السوفيتى طلب فرض شروطه الايديولوجية على دمشق قبل ان يقدم لها السلاح ..

واضافت الصحيفة ان السوفييت حاولوا ان يجعلوا من هذا المبدأ الاساسى الاول لتفاوضهم مع اللواء حكمت شهاب رئيس الاركان السورى خلال زيارته الاخيرة لموسكو والتى كانت تستهدف ابرام اتفاق للحصول على اسلحة سوفيتية ، الامر الذى دفعه فى النهاية الى قطع زيارته والعودة لدمشق

كما اكدت صحيفة « تشرين » الرسمية فى دمشق هذا المعنى عندما نشرت فى افتتاحيتها نقدا شديدا للاتحاد السوفيتى لموقفه من سوريا وقالت مانصه

ان الكلمات والتأييد الخطابى لم تعد اشياء كافية ، فنحن نحتاج الى الدعم الملائم الذى بدونه يصبح التضامن كلمة جوفاء لا معنى لها .. اننا نحتاج الى دعم عسكرى يعادل الدعم الذى قدمه السوفييت لكوبا وفيتنام ، لكننا لم نتلق سوى الكلمات ..

والاتحاد السوفيتى الان اشبه بمن يسبح ضد التيار ، وهو يواجه حملة قاسية من الصين الشعبية المتحفزة على حدوده ، ومن اصدقائه فى العالم العربى الذين اصبحوا لا يثقون به ..

والاتحاد السوفيتى اصبح يتعلق ـ وسط الامواج ـ بقشه واهية لعلها تعصمه من الغرق .